



في هذه المرحلة الدقيقة التي نعيده فيها ترتيب البيت من الداخل؛ نحتاج إلى رؤية محددة لإعادة هندسة أولويات وتوجهات السياسة الخارجية المصرية.

رؤيه ننطلق منها لنرسم لمصر مكانا محوريا يؤهلها للعب دور قيادي منشود، ومن ثم تصبح زيارات الرئيس الخارجية تنفيذا دبلوماسيا لخط استراتيجي عام وإطار سياسي شامل يعكس أولويات دوائر صنع واتخاذ القرار في مصر بعد الثورة.

على سبيل المثال؛ حينما يم الرئيس وجهه شطر المملكة السعودية في أولى زيارته الخارجية ظننا أنه أعطي دلالات قوية للشرق والغرب لملامح السياسة المصرية الخارجية وأولوياتها بعد الثورة؛ ومن لم ير فيها ما يدعوه لاستشفاف هذه الملامح أنته كلمات الرئيس في معرض زيارته واضحة لا تحتمل تأويلا؛ إذا كانت السعودية لمشروع أهل السنة والجماعة راعية فإن مصر لهذا المشروع حامية؛ وأنت من بعدها زيارته الإفريقية لتكميل رؤية صانع القرار للدوائر الإستراتيجية المحتملة للسياسة المصرية الخارجية.. لكن الرؤية اختلفت كثيرا بالإصرار على زيارة إيران بحجم تمثيل دبلوماسي رفيع المستوى يترأسه زعيم مصر بعد الثورة. إصرار يحمل علامة استفهام مؤرقة عن أهمية الزيارة وتقديرنا للدولة الضيفة.

فلننح جانبا فكرة حتمية الذهاب من الناحية البروتوكولية؛ إذ يكفي في ذلك وزير الخارجية أو حتى من هو أقل منه منصبا للقيام بهذا الدور؛ التوقيت غير مناسب بالمرة لعدة اعتبارات يأتي في مقدمتها أن إيران هي الأكثر شراسة واستماتة في الدفاع عن نظام (بشار) فاقد الشرعية؛ ثبتيتا للقوس الفارسي الخصيب أن تنفلت منه أحد أهم حباته؛ ولو لاها لسقط منذ زمن بعيد؛ وإيران تسعى لاستغلال فرصة قمة عدم الانحياز لكسر العزلة السياسية المفروضة عليه، وهي أحد أهم أوراق الضغط المتوافرة لإنقاذ النظام السوري فكيف نساهم في مداواة جراحها؟

إيران التي بدأت على دس أنفها في شئون دول كثيرة لن تكون سوريا آخرهم. تصدير المد الشيعي الذي يجري على قدم وساق في طول إفريقيا وعرضها وفي القلب منها مصر أكبر دول العالم الإسلامي هوادة عند النظام الإيراني؛ العبث بأمن الخليج العربي ورقة ابتزاز يلوح بها من حين لآخر؛ العراق الذي مثل صمام أمان وبوابة شرقية للأمة العربية والإسلامية

أصبح كلاً مستباحاً للاستخبارات الإيرانية تعثت فيه فساداً؛ الدعم اللوجيسي وال العسكري للحوثيين في اليمن. إثارة الفالقل في البحرين والتصريح الدائم المستفز أنها إحدى ولايات الدولة الفارسية؛ التحرش الدائم بالإمارات العربية واحتلال جزء من أراضيه؛ وأخيراً تصدير أزمة النظام السوري فاقد الشرعية إلى لبنان لتندلع مواجهات أبناء الوطن الواحد من جديد.

الذين يدافعون عن الزيارة باعتبارها رداً على التهديدات الإسرائيلية بضرب طهران حجتهم داحضة؛ لأن الحرب الوحيدة التي يمكن أن تتشعب بين إيران والصهاينة لا تتجاوز بأي حال معارك إعلامية كلامية تتجدد فصولها المملة من وقت لآخر وترتفع سخونتها حسب رغبة كل فريق لتحقيق مكاسب يرجوها، إما عن طريق ابتزاز شعبه أو لكسب مساحة أكبر من التأثير والنفوذ؛ غاية ما هنالك أن تحرك إيران وقتما يحلو لها (حزب الله) مخلب القط الذي تحتفظ به في الجنوب اللبناني؛ وأبرز الأدلة على هذا التحليل تصريحات بيريز الأخيرة أن إسرائيل لا تستطيع وحدها توجيه ضربة عسكرية لإيران أشبه بكابح الجماح) الفرامل) التي تعيد الفريقين إلى مضمار السباق من جديد.

أسخف من ذلك توهם إمكانية الضغط على الولايات المتحدة لتحقيق مكاسب بزيارة بهذه؛ ولو أردت عودة إلى الوراء لتدرس بعمق أكثر طبيعة العلاقات الإستراتيجية الأمريكية الإيرانية. وطالما أن الولايات المتحدة أحد طرفي العلاقة فإن ذلك يعني إسرائيل بصورة ضمنية. فلا زالت ذاكرة التاريخ تحفظ في سجلاتها السوداء كلمات على أبوظبي، مساعد الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي: لو لا مساعدتنا لها -لأمريكا يقصد- ما دخلت أفغانستان ولا العراق. وهو نفس الأمر الذي أكده أيضاً الباحث الإيراني محمد غلام رضا، عقب فوز أوباما بانتخابات الرئاسة الأمريكية؛ بل أمام اللثام عن ما هو أكثر من ذلك بقوله: إن الحوار بين إيران وأمريكا لم ينقطع، حيث أن طهران كانت في حوار دائم مع واشنطن في بغداد، كما أنها استلمت رسائل من أمريكا عبر السفارة السويسرية. وعلامات غيرها كثيرة على (استراتيجية) العلاقة الأمريكية الإيرانية.

ربما أراد الرئيس الضغط على الخليج العربي كله، باستثناء قطر التي تشير التوقعات إلى حضورها، عن طريق لعبة التوازنات واستخدام سياسة العصا والجزرة؛ لأن التلويح ولو من طرف خفي إلى التقارب المصري الإيراني سيمثل فزاعة حقيقة لمن لا يزال يشكك في قدرة مصر تحت قيادة رئيس ينتمي إلى التيار الإسلامي؛ وسيدفع كل من تلك في مساعدة البلاد أن تخرج من أزمتها الاقتصادية. لكن هذا الافتراض لو صح سيكلفنا الكثير؛ في وقت نحتاج معه لاستخدام أساليب الاحتواء والطمأنة أكثر من حاجتنا لاستخدام التهديد.

سيادة الرئيس.. لا نريد مد حبال قوية للتواصل مع إيران في الوقت الذي تكيفنا فيه شعرة معاوية؛ وشتان بين الجبل السميك وبين الشعرة المهرئة.

المصدر: الأهرام

المصادر: